مـــجـــلـــة دراســـات بيت الـــمـــقـــدس، 2020، 20(2): 253–274
DOI: 10.31456/beytulmakdis.709959

دور المقدسيين في الحفاظ على الهوية الفلسطينية ومواجهة اساليب الاحتلال الصهيوني 1967–1987م

أحمد حسين عبد الجبوري* / أحمد محمود علو السامرائي**

ملخص: عقب الاحتلال الصهيوني للمدينة المقدسة قام العدو الصهيوني ممثلا بحكومته وجيشه ومؤسساته بجملة من الأعمال التي تصب مجملها في إطار عملية التغيير الديموغرافي والمسخ الحضاري للمدينة المقدسة، بقصد تحويلها إلى منطقة يهودية خالصة. إلا أن سكان مدينة القدس الشريف لم يستسلموا لهذا الواقع الجديد الذي فرضه الاحتلال، بل قاموا بالرد عليه بوسائل مختلفة، وقاوموا بشدة ممارسات الصهاينة، ووقفوا في وجه المحتل دفاعا عن مدينتهم المقدسة وهويتهم المقدسية، وعلى كافة المستويات التعليمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. تتناول الدراسة الوسائل التي اتبعها المقدسيون للحفاظ على هويتهم الوطنية وانتمائهم للأرض المقدسة، ومواجهة عدو غاصب محتل يسعى لبسط سيطرته على معظم الأراضي الفلسطينية وخاصة مدينة القدس، وبوسائل عدة منها رفض البرامج التعليمية الصهيونية، المقاومة السلمية ودور المؤسسات الفلسطينية بالقدس في ذلك، والمقاومة المسلحة والانتفاضة الجماهيرية التي أصبحت من أهم وسائل مواجهة العدو الصهيوني بعد عدم الوصول إلى نتائج إيجابية باستخدام الوسائل السلمية في المقاومة.

الكلمات المفتاحية: أهل القدس، الهوية الفلسطينية، الاحتلال الصهيوني، التعليم، المقاومة السلمية، الانتفاضة المسلحة.

The Role of Jerusalemites in Preserving the Palestinian Identity and confronting the Zionist Occupation: 1967-1987

ABSTRACT: *Following the Zionist occupation, the residents of Jerusalem lived in difficult circumstances, whereby the Zionist enemy, represented by its government, army and institutions, carried out a number of actions in the process of changing the demographic structure and cultural eradication of the Holy City. This was done with the intention of converting the city into a purely Jewish area. However, the residents of the Holy City did not surrender to this new reality which was imposed by the occupation forces, but have responded by various means, and they have fiercely resisted the practices of the Zionists. They stood in the face of the occupation in defence of their Holy City (Al-Quds al-Sharif) and their identity, at all levels: educational, cultural, economic, social and religious. The study examines the procedures that Jerusalemites used to preserve their national identity and affiliation with the Holy Land, and in confronting the occupying enemy*

* قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، تكريت/ العراق، drahmed41@tu.edu.iq
** قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة سامراء، صلاح الدين/ العراق، dr.ahmed.alaw@gmail.com

that seeks to establish control over most of the Palestinian lands, especially the Holy City of Bayt al-Maqdis. They were able to do this through several measures, including rejecting the Zionist educational programs, peaceful resistance and through Palestinian institutions in the Holy City, as well as armed resistance and the mass uprising (Intifada) that has become one of the most important means of confronting the Zionist enemy, particularly after failing to achieve positive outcomes through the use of peaceful resistance.

KEYWORDS: *Jerusalemites, Palestinian identity, Zionist occupation, education, peaceful resistance, armed Intifada.*

مقدّمة

عاش سكان مدينة بيت المقدس ظروفا عصيبة، عقب الاحتلال الصهيوني للمدينة؛ حيث قام العدو الصهيوني بجملة من الأعمال بقصد تهويد المدينة المقدسة وتحويلها إلى مدينة يهودية خالصة. تحاول الدراسة أن تبين دور المقدسيين في الحفاظ على الهوية الفلسطينية ومواجهة أساليب الاحتلال الصهيوني ما بين 1967 و 1987. وانقسمت الدراسة إلى عدة محاور رئيسة وأخرى فرعية حاولنا عن طريقها التعرف على الوسائل المتبعة في النضال ضد سياسة المحتل، والتي ابتدأت بالوسائل السلمية، وفي مجالات مختلفة من التعليم ومناهج الدراسة وإنشاء المدارس. ومن الأساليب الأخرى كانت الإضرابات والمظاهرات والنضال السياسي والقانوني، بالإضافة إلى دور المؤسسات الفلسطينية في التصدي لمخططات تهويد القدس. ومن المحاور الرئيسة في الدراسة استخدام المقاومة المسلحة والانتفاضات الجماهيرية والتي اتخذنا لها نموذجا مهما ومحوريا هو انتفاضة الحجارة في عام 1987 بينا فيها أسباب الانتفاضة وأحداثها وآثارها على مختلف الأصعدة والمستويات. و تضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ومنها: أثبت المقدسيون وكافة الفلسطينيين أن جذوة الجهاد والنضال لم تنطفئ كما اعتقد العدو المحتل، وبرهنوا على وجودهم ورفضهم لممارسات الاحتلال. اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة ومتعددة، قدمت تصورا متكاملا عن دور المقدسيين في مواجهة الاحتلال الصهيوني وقيادة الانتفاضات المستمرة ضد أساليبه الاستيطانية.

أولا: رفض البرامج التعليمية الصهيونية

لم تمهل المخططات الصهيونية لسلطات الاحتلال، قضية التعليم العربي في القدس وقتا طويلا ففي شهر أب/ أغسطس عام 1967، ومع اقتراب موعد افتتاح السنة الدراسية الأولى بعد الاحتلال اتخذت الحكومة الصهيونية عددا من القرارات المتعلقة بالشؤون التعليمية في القدس والضفة الغربية، تقرر الالغاء النهائي للبرامج التعليمية الأردنية المطبقة في مدارسها، واستبدالها بالبرامج المطبقة في المدارس العربية داخل الكيان الصهيوني. وقد اتخذت الحكومة قرارها ذلك بناء على توصية من وزارة التربية والتعليم الصهيونية، التي

استندت على مبرر كون القدس العربية أصبحت جزءا من الكيان الصهيوني، وعليه فأنها تخضع للنظام التعليمي نفسه. وبناء عليه وضعت السلطات يدها على جميع المدارس الحكومية، ومكاتب مدير التعليم الأردني في المدينة، وطلبت منه ومن موظفي مكتبه وجميع العاملين في الجهاز التعليمي الالتحاق بأجهزة التعليم الصهيونية الخاضعة لوزارة التربية والتعليم ولبلدية القسم المحتل سابقا في المدينة.[1]

1- موقف المقدسيين من قرارات وزارة التربية الصهيونية

لاقت تلك القرارات والإجراءات الرفض القاطع من جانب المسؤولين على العملية التعليمية في القدس، كمدير التربية والتعليم، وجميع موظفي وزارة التربية والتعليم الأردنية. إذ خرجوا يرفعون لافتات يرفضون فيها تلك القرارات وإلغاء البرامج التعليمية العربية، ويعتبرون ذلك نسفا لكرامة المدرسين وللعرب كبشر، وهدف إلى تربية الأطفال بروح معادية للعرب،[2] وخلق جيل متشبع بالثقافة اليهودية، والأمر نفسه لبقية المواطنين الذين لم يستسيغوا قرارات الصهاينة بتغيير البرامج العربية. وقوبل ذلك بوقفة مشرفة من قبل المجتمع المقدسي (أفراد ومؤسسات) رفضوا من خلالها القوانين الصهيونية، وتصدوا بقوة لمحاولة تهويد التعليم.[3] و لم يتقبل الفلسطينيون تلك الوضعية فتحول الكثير منهم من المدارس الحكومية إلى المدارس الأهلية، كما هو الحال بالنسبة للمدرسة الرشدية التي تضاءل عدد طلابها بشكل ملموس إلى العشرات، بعد أن كان عددهم للعام الدراسي (1966- 1967) حوالي (687) طالبا، محاولة منهم للمحافظة على عروبتهم ووطنيتهم.[4]

أهم الإجراءات التي اتخذها سكان القدس الشريف

توحدت جهود المقدسيين في مقاومة محاولات الاحتلال المستمرة لتهويد التعليم، تحت مظلة لجنة المدارس الخاصة، والتي ضمت مدارس الأوقاف والمدارس التابعة للجمعيات أو لمجالس الأمناء والكنائس والأديرة والمدارس الخاصة الأهلية والأجنبية، التي استمرت في تدريس المنهاج الأردني حيث مارست تلك اللجنة دور المرجعية للتعليم في القدس وارتبطت مع دائرة شؤون الأرض المحتلة في الأردن،[5] وامتنع الفلسطينيون عن إرسال أطفالهم إلى المدارس الحكومية وأرسلوهم عوضا عن ذلك إلى المدارس الخاصة، إذ كان المنهاج الأردني ما يزال معمولا به، وبالمقابل اكتظت المدارس الخاصة بالطلبة، وازدهرت فكرة إيجاد مدارس بديلة للعرب، وهي الفكرة التي تبنتها جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية وبدأتها في العام الدراسي (1968-1969)، بدعم من الحكومة الأردنية التي استمرت بدفع رواتب المدرسين الذين عملوا معها قبل الاحتلال، بينما غطت جمعية المقاصد الخيرية رواتب المدرسين الجدد.[6]

يبين الجدول في أدناه التغييرات المذكورة في أعلاه بحسب الأرقام المتوفرة، حيث يتبين فيه انخفاض عدد طلبة المدارس الرسمية التي أصبحت تتبع لسلطات الاحتلال، في المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية

خلال المدة (1966- 1972)، وفي المقابل تزايد الإقبال على المدارس الخاصة، التي واصلت تطبيق المنهاج الأردني حيث ارتفع عدد الطلبة بأكثر من الضعف بين الموسمين الدراسيين (1967- 1968/ 1970- 1971)، وأزداد معدل عدد الشعب في كافة المراحل بنسبة تفوق الضعف بلغت (78.4%).[7]

المرحلة الاعوام الدراسية	عدد 1966-1967	الطلاب بعد سنة 1967
الابتدائية	8100	7070 موسم (1970-1969)
الاعدادية	4100	1450 موسم (1972-1971)
الثانوية	1850	300 موسم (1972-1971)

جدول رقم 1: يوضح تغير أعداد طلبة المدارس الرسمية بعد أحتلال القدس عام 1967

وعبر سكان القدس العربية عن رفضهم لسيطرة الكيان الصهيوني على عملية تعليم أبنائهم، بسحب عدد كبير منهم من المدارس الحكومية، وإدخالهم المدارس الخاصة، التي تدرس المنهاج الأردني،[8] وأدى ذلك إلى زيادة أعداد طلبة المدارس الخاصة.[9]

2- إنشاء مدارس الاوقاف الاسلامية والمدارس الأهلية

أ- مدارس الاوقاف الإسلامية

نشأت مدارس الأوقاف (عرفت باسم مدارس حسني الأشهب سابقا) عام 1967 واستقطبت عددا من الطلبة بسبب رفض المجتمع المقدسي للمنهاج الصهيوني. تعرضت تلك المدارس إلى مضايقات كثيرة من قبل سلطات الاحتلال الصهيوني وهي في الوقت نفسه تقدم تعليما مجانيا، ويعتبر التعليم فيها أفضل من التعليم في مدارس المعارف بشكل جزئي.[10] وكان إنشاء تلك المدارس ردا على محاولة فرض المنهاج الصهيوني، حيث ناضلت متحدية جميع العراقيل لتنجح على مراحل لإعادة تطبيق المنهاج الأردني ما بين عامي (1967-1973).[11] ومما ساعد على صمودها واستمرارها، نظام الوقف الذي وفر لها أسباب البقاء والوقوف في وجه المحاولات اليهودية الرامية إلى تعطيلها عن القيام بدورها والحفاظ على مناهج التدريس العربية الإسلامية.

ب-المدارس الأهلية (الخاصة)

للمدارس الخاصة في القدس دور وطني في رفض المنهاج الصهيوني بعد عام 1967، حيث استمرت في تدريس المنهاج الأردني المعدل، فزاد الإقبال على المدارس الخاصة، واستقطبت الآلاف من الطلبة للدراسة فيها وفق المنهاج الأردني مما ولد ضغطا على قدرتها الاستيعابية. وبالمقابل انخفض عدد الطلبة في المدارس التابعة للمعارف والبلدية.[12] وتتبع تلك المدارس لأفراد، وتشرف عليها جهات أهلية أو جمعيات خيرية

أو كنسية بحيث تعتمد هذه المدارس على الرسوم المدرسية التي تجنيها من طلابها، لأجل تغطية نفقاتها، ومارست دورا مهما في رفض المنهاج الصهيوني.[13] وقد بذلت المدارس الأهلية كل ما في وسعها لاستيعاب هؤلاء الطلبة الذين فاق عددهم /مكاناتها، بحيث بلغ الاكتظاظ في تلك المدارس درجة لا يستطيع فيها الطالب تلقي العلوم على الوجه اللائق مما أضطر إدارتها إلى استئجار أبنية إضافية في البلدة القديمة أو خارجها وتحويلها إلى صفوف دراسية.[14]

مميزات المدارس الأهلية

1. تحرص تلك المدارس على المنافسة المستمرة للحفاظ على بقائها.
2. تتبع المدارس نظام توظيف بعقود سنوية تستغني بواسطته عن أي معلم ثبت عدم التزامه.
3. تسعى هذه المدارس إلى استيعاب النوعية الجيدة من الطلبة في المدارس الأخرى وترفض تسجيل الطلبة الذين لا يخضعون لشروطها.
4. لهذه المدارس حرية في التمييز في جوانب أخرى مثل تدريس لغات أخرى كالفرنسية والألمانية والإسبانية، أو التركيز على اللغة الإنكليزية بزيادة عدد حصصها وفعالياتها.
5. تمتاز بالنشاطات التربوية الأخرى مثل الموسيقى والفنون.
6. بعض المدارس التابعة لجمعيات خيرية إسلامية تركز على تعليم التربية الإسلامية وتحفيظ القرآن.[15]

وإلى وقت قريب استمر الرفض والمواجهة لأساليب تهويد التعليم، حيث ندد الكثيرون، وانتقدوا المناهج المفروضة على الطلاب الفلسطينيين، وطالبوا بتغييرها وإصلاحها بما يتناسب وانتماء الشعب الفلسطيني وحضارته وتاريخه، كما حدث في مهرجان القطر للطلاب العرب الذي عقد في 13 ابريل/نيسان 1987. وفي إشارة الأستاذ محمود مصالحة، مدير الثانوية في قرية دورية في رسالة وجهها إلى زملائه في المدارس الأخرى، وإلى الجهات المختصة في وزارة المعارف الصهيونية.[16]

ناضل الفلسطينيون ضد فرض النظام التعليمي الصهيوني في القدس، لأنه لا يراعي تطلعات العرب القومية أو لغتهم أو تاريخهم، وحاولوا منع الهيئة التعليمية من تطبيق منهاج العدو في المدارس. فرد الكيان الصهيوني بعقاب المدارس والمعلمين والطلبة، من إغلاق وطرد واعتقال، وتوحدت جهود المقدسيين في مقاومة تهويد التعليم تحت مظلة لجنة المدارس الخاصة، والتي ضمت مدارس الأوقاف والمدارس التابعة للجمعيات أو لمجالس الأمناء أو الكنائس والاديرة (المدارس الخاصة والأهلية والأجنبية)، والتي استمرت في تدريس المنهاج الأردني، حيث مارست هذه اللجنة دور المرجعية للتعليم في القدس وارتبطت مع دائرة شؤون الأرض المحتلة في الأردن.[17]

لقد كان للوعي المقدسي المجتمعي صدى كبير، حيث أعلن عن مخاوفه من عملية السيطرة على فكر الانسان الفلسطيني العربي ومحو ذاكرته واستبدالها بذاكرة صهيونية. وقد تمخض عن ذلك فتح مدارس الأوقاف الإسلامية –كحل سريع– والتي كانت بمثابة صمام أمان أعاد الاطمئنان للمجتمع المقدسي حيث أنقذ عروبة المناهج في القدس الشريف. واستوعبت الطلبة والمدرسين، جنبا إلى جنب مع المدارس الأهلية الوطنية، التي كان لها الدور الوطني الكبير، في إرغام الكيان الصهيوني للتراجع عن قراره تدريجيا، بعد ما تم تفريغ مدارسها من الطلبة وبذلك تم إعادة المنهاج الأردني الذي كان يدرس في ذلك الوقت مع أجراء بعض التعديلات على معظم مواد العلوم الانسانية.

ثانيا: المقاومة السلمية ودور المؤسسات الفلسطينية في القدس الشريف

فضلا عن المقاومة العنيفة واستخدام القوة، للتعبير عن رفض الوجود الصهيوني في القدس وفلسطين، مارس المقدسيون اشكالا اخرى لمقاومة الاحتلال الصهيوني، وطبقوا اساليب متنوعة واجهوا بها مخططات التهويد، وهذا وفق ما تتطلبه كل مرحلة من مراحل الصراع الإسلامي–الصهيوني وحسب الوسائل المتاحة والامكانيات التي توفرت للأهالي والمنظمات التي كانت تنشط في القدس الشريف.

1– المقاومة السلمية

تشمل العديد من ردود الأفعال التي لا ترقى إلى درجة استعمال العنف أو إحدى وسائله، وأهم أنواعها: المظاهرات والاحتجاجات وأعمال العصيان المدني، والإضرابات والنضال القانوني، واستخدام وسائل الإعلام، وكتابة العرائض. أخضع الكيان الصهيوني شرقي القدس للحكم المدني الصهيوني بعد قرار الكنيست في 28 حزيران 1967. وهو الذي أثار موجة عارمة من الاحتجاجات والتظاهرات، تبنى خلالها سكان القدس عدم التعاون مع سلطات الاحتلال لمواجهة الضم والتهويد ورفض الوضع الجديد. فقد رفض روحي الخطيب،[18] رئيس بلدية القدس الشرقية، الانضمام إلى بلدية القدس الموحدة.[19]

لقد تمحور عمل المنظمات غير الحكومية أو المؤسسات الأهلية حول تعزيز وتمكين القاعدة الجماهيرية في بعد وطني واجتماعي، ودعم صمود الفلسطينيين من خلال القيام بالكثير من الأدوار وتقديم الخدمات. وكان هدف عمل المؤسسات الأهلية، تقديم الخدمات في الانتفاضة الأولى استراتيجية لكي تتمكن من خلالها رعاية ودعم المقاومة.[20] انعكس نشاط تلك المؤسسات ونضالها على الواقع المحلي للأراضي المحتلة وعلى الصعيدين الاقليمي والدولي ايضا. خاصة من خلال لفت الأنظار إلى الانتهاكات الصهيونية ومحاولات تهويد القدس والأراضي الفلسطينية، وكسب تعاطف المؤسسات الدولية، التي ساءها ما يقع على القدس مثل اليونسكو التي وجهت عدة نداءات، وأصدرت قرارات

إدانة بشأن التعدي على الأثار في القدس بوجه خاص، ومن بينها أعمال الحفريات أسفل المسجد الأقصى وجريمة أحراقه عام 1969، وفي كافة المناطق المحتلة.[21] واستخدمت بعض المؤسسات ومنها نقابة المحامين، سياسة عدم التعاون مع مؤسسات الاحتلال ومقاطعة المحاكم الصهيونية، ورفض المحامون الترافع أمامها.[22] كذلك استخدمت الكثير من المؤسسات العديد من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية كمنابر للحركة الوطنية في الأراضي المحتلة، وعززت مفهوم الوطنية وشجبت الاحتلال، وفضحت وسائل قمعه وسياسته وأهدافه ودعت الجمهور إلى تصعيد النضال ضده.[23]

وأخذت المقاومة والنضال تعبيرا واضحا عبر البيانات والأعلام والمظاهرات والإضرابات والعصيان المدني. وقد شاركت في حينها المؤسسات القائمة في القدس الشريف؛ أمانة القدس والغرفة التجارية وشركة كهرباء القدس، ومستشفى المقاصد الخيرية، والمدارس بطلابها ومعلميها والجمعيات الخيرية والمؤسسات المهنية الوطنية، والهيئة الإسلامية العليا التي قامت بعد الاحتلال في 1/12/ 1967، ومارست في شخص عبد الحميد السائح،[24] دورا قياديا علنيا، كذلك شاركت فيها الأطراف السياسية والحزبية والحركية التي كانت قائمة في العهد الأردني.[25] وعلى الرغم من تلك المستجدات المحيطة، تمكن المقدسيون الفلسطينيون من إعادة جزء من مكانتها المؤسساتية، واحتفظوا في وعيهم مع بقية الفلسطينيين بتلك المكانة كاملة. فقد استمرت بالنسبة للمؤسسات التي تمكنوا من الاحتفاظ بها أو استحداثها –في ضوء المستجدات– ظلت القدس مركز استقطاب، فمن بين (79) جمعية خيرية في الضفة الغربية عام 1966، ضمت القدس (41) جمعية بنسبة تقارب (50%) من مجموع المؤسسات الناشطة.[26]

أ– الإضرابات

قاد تنظيم لجنة التوجيه الوطني إضرابا في أيلول/سبتمبر 1967، بالتنسيق مع الحركة الطلابية والهيئة التدريسية بمقاطعة سلطات الاحتلال –التي حاولت تغيير المناهج– وتصدت إلى عمليات الفساد الأخلاقي التي نشرتها سلطات الاحتلال كالمخدرات والدعارة، والنوادي الليلية.[27] ومع انتصار مصر في حرب تشرين/ اكتوبر 1973، ونجاح منظمة التحرير الفلسطينية في استصدار القرار المرقم (3236)، من الجمعية العامة للأمم المتحدة والذي يؤكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وفرض مزيد من الضرائب على الكيان الصهيوني، أغلق الفلسطينيون المحلات التجارية، والأسواق. وفي ظل إبعاد سلطات الاحتلال بعض القيادات، استمرت الاضرابات، وبدأت التهديدات بالاستقالات الجماعية من قبل الكثير من أعضاء المجالس البلدية والغرف التجارية.[28] ودعت الغرفة التجارية بالضفة الغربية في السادس من تشرين الثاني/ ديسمبر 1976، إلى إضراب عام مفتوح في كل المدن والقرى بما فيها القدس الشريف استمر عشرة ايام.[29]

ب- النضال السياسي والقانوني

أتخذ بعض الفلسطينيين هذا النهج رغم عقمه وعدم جدواه، ومن ذلك مشكلة نتائج الانتخابات البلدية المحلية التي جرت عام 1976، بناء على الأمر العسكري المرقم (628) والأمر المرقم (644)، الصادرين عام 1975، إذ يعتبر نهجا جديدا في المقاومة السلمية، فقد أسفرت نتائج الانتخابات عن فوز القوائم المؤيدة لمنظمة التحرير، الأمر الذي لم تحتمله ديمقراطية الاحتلال المزعومة.[30] وفي مقاومة أحد أهم ركائز التهويد للقدس وفلسطين، ألا وهو الاستيطان، لجأ السكان إلى المحاكم الصهيونية، التي غالبا ما كانت تصدر أحكامها بناء على ادعاءات الحكم العسكري.[31]

ج- المظاهرات والخروج إلى الشارع

شهدت الأراضي المحتلة مظاهرات وإغلاق الطرقات بالإطارات المشتعلة ورشق السيارات الصهيونية بالحجارة، وإحراق صناديق القمامة في الشوارع وسكب الوقود الممزوج بالزيت على الطرقات لعرقلة حركة السير. وأدت زيادة وتيرة النشاط الاستيطاني في أواخر عام 1976، والاشتباكات المتبادلة والحرق المتبادل للكتب المقدسة، واعتداءات اليهود المتكررة على المسجدين الأقصى والإبراهيمي، إلى تصعيد أعمال الاحتجاج والاشتباك بين السكان والمستوطنين.[32]

شكل عام 1976، بمجمله عاما حافلا بالمقاومة السلمية التي استخدمت فيها العديد من الوسائل المعروفة التقليدية وغير المعروفة (المبتكرة)، في مواجهة الممارسات التهويدية، والاعتداءات الصهيونية، والقرارات الاستبدادية. وبلغ عدد أيام التظاهرات والاعتصامات والإضرابات (127) يوما شاركت فيها مختلف شرائح المجتمع الفلسطيني، من طلاب وتجار ونساء وشباب وشيوخ. وسجل خلال تلك الأيام سبعة وعشرون أسلوبا، من أساليب المقاومة السلمية، بلغت في مجموعها خلال العام (282) مرة. كان أبرزها المظاهرات والاعتصامات الجزئية والاضرابات، وإغلاق المحلات التجارية والمسيرات السلمية، ورفع العلم الفلسطيني وتوزيع المنشورات، وإضراب المعتقلين وتشييع الشهداء وإقامة المتاريس ورمي الحجارة، وسكب الزيت على الشارع ورمي الزجاجات الحارقة واستخدام الأسلحة النارية، والاشتباك بالأيدي مع الجنود والمستوطنين وإحراق حاويات القمامة والعصيان المدني.[33]

2- دور المؤسسات في التصدي لمخططات التهويد في القدس

مثلت القدس الشريف دوما العاصمة الأبدية والرمز بالنسبة لفلسطين والفلسطينيين، نظرا لمكانتها الدينية وطبيعتها التاريخية والأثرية ولموقعها المتوسط في فلسطين. فالقدس قبل الاحتلال الصهيوني وبعده هي المركز الثقافي الإعلامي والفني والتعليمي والروحي (الاسلامي-المسيحي)، والاقتصادي، وهي الوجه الوطني والقومي، أي أنها المركز السياسي لفلسطين. إن مدينة بهذه المكانة والأهمية حتما سيفرز مجتمعها

المدني مؤسسات وجمعيات ومنظمات وتنظيمات وأطرا وأشكالا تنظيمية شتى. ومهما كانت تسميتها وأهدافها وأدوارها وتركيبتها، فأنها مثلت وتمثل بمجموعها هوية بيت المقدس، ووجهها الحضاري العربي الاسلامي، وهي تتنوع بتنوع الحاجة المجتمعية المحلية والوطنية، وأنها تنمو وتتشكل تبعا للتحديات التي تمر بها المدينة بشكل خاص وفلسطين بشكل عام.[34] ولقد كانت القدس على امتداد تاريخها مركز فلسطين وحاضرتها الأولى، بالمعاني والمضامين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، علاوة على أهميتها الدينية.[35] وأخذت مؤسسات القدس على عاتقها مسؤولية توفير جزء من احتياجات السكان الفلسطينيين في مختلف القطاعات. حيث كان لتلك المؤسسات القائمة قبل الاحتلال وبعده والتي تزيد على المائة مؤسسة، دور مقاوم حمى الفلسطينيين من سياسة الدمج التي مارستها بلدية الاحتلال. وفي الوقت ذاته مارست دورا في التنمية المحلية في شرقي القدس.

وقاوم الفلسطينيون دوما المحاولات الصهيونية الرامية للسيطرة على مؤسساتهم وتخريبها وهدمها وخلق بدائل مزيفة موازية لها، مثل لجنة الاصلاح المركزي ولجنة الشرطة الجماهيرية، وتسويق مراكز تطوير الاحياء المرتبطة ببلدية الاحتلال بديلا للمجالس والأندية وغيرها.[36] لقد كانت القدس مركز الحركة الفلسطينية على نحو تلقائي، لكن وضعها على رأس أجندة التهويد الصهيونية، ارتقى بالوعي الفلسطيني لهذه الدرجة. وتظهر الوقائع أنه حتى حينما كانت الحياة الفلسطينية في حالة من الصدمة غداة النكبة، فإن الوعي بأهمية الحفاظ على موقع القدس ومكانتها لم ينقطع.[37] وانطلاقا من حرص الفلسطينيين على هويتهم قاموا بإنشاء المؤسسات الرسمية والأهلية لرعاية التراث، في معظم المحافظات، وفي القرى والمدن، وتعد دار الطفل العربي في القدس من المؤسسات المبادرة مبكرا في الاهتمام بالتراث الشعبي.[38]

كان الوعي الفلسطيني بضرورة إغناء الوجود المؤسساتي العربي في القدس للحفاظ على عروبتها متوافر في كل المراحل، فعندما افتتح الكيان الصهيوني مقر الكنيست في القدس العربية المحتلة في عام 1966، نشرت الهيئة العربية العليا لفلسطين مذكرة طالبت فيها بضرورة العمل على عقد أكبر قسم ممكن من الاجتماعات العربية الرسمية في المدينة ولا سيما اجتماعات الجامعة العربية ولجانها ومؤسساتها المختلفة، باعتبار ذلك مظهرا للحفاظ على عروبتها.[39] وأقامت المؤسسات الفلسطينية في القدس، الفعاليات الجماهيرية الواسعة والمؤتمرات والندوات الثقافية والوطنية، رغم قيام سلطات الاحتلال الصهيوني بإغلاق معظم المراكز والمؤسسات الفلسطينية العاملة في المدينة.[40]

أ- تطور عمل المؤسسات الفلسطينية وتنوعه

خلال سنوات الاحتلال وأمام التحديات الجديدة طور الفلسطينيون وجودا سياسيا هاما لهم في القدس، خاصة بعد الاعتراف العربي بمنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني. وقد تمثل

هذا الوجود في مؤسسات عديدة كان منها، الجبهة الوطنية الفلسطينية، ولجنة التوجيه الوطني الثانية، القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة الشعبية (قاوم). وشهدت القدس خلال المدة (1987–1975)، ولادة مؤسسات فلسطينية جديدة عززت من وضعها كمركز للنشاطات والفعاليات والخدمات الفلسطينية، وأدى وجود الصحف والمجلات العربية اليومية والأسبوعية، والفرق المسرحية، مسرح الحكواتي خاصة، والعديد من لجان العمل التطوعي والشبابي فيها إلى الحفاظ على الهوية الثقافية وعلى الهوية السياسية الفلسطينية للمقدسيين وإلى تعزيزها.[41]

عملت المنظمات الأهلية على ممارسة ضغط يومي ضد اجراءات الاحتلال ومواجهة السياسات الصهيونية غير الإنسانية والمنتهكة لكل الأعراف والقوانين الدولية، كانتهاكات حقوق الأسرى، واقتلاع الاشجار من الأراضي أو مصادرتها والقتل العمد والاعتقال السياسي.[42] ومارست المؤسسات ذات الطابع الإسلامي دورا بارزا في التصدي للممارسات اليهودية في القدس، مثل الهيئة الإسلامية العليا بالقدس، التي تأسست عام 1967، وقامت على رعاية الشؤون الدينية ومقدسات المسلمين. وكان لها دور فاعل في فضح الانتهاكات الصهيونية للمقدسات الإسلامية وحمايتها، والسعي على بيانها للعالم العربي والأمة الاسلامية، والمجتمع الدولي، مما أدى بالعدو الصهيوني إلى مضايقة وملاحقة أعضائها ونفيهم إلى الأردن. ولجنة القدس التي انبثقت عن مؤتمر القمة السادس لمنظمة المؤتمر الإسلامي، إذ عقدت عدة اجتماعات لدراسة الأوضاع في القدس، والتنبيه إلى خطورة الأعمال الإجرامية للصهاينة وتهويد المدينة.[43]

ب– دور الصحافة المقدسية في مواجهة الاحتلال

كانت القدس بعد نكبة عام 1948، تصدر (18) جريدة ومجلة، منها (12) صدرت في خمسينيات القرن الماضي، و(6) في الستينيات، موزعة بين القدس ورام الله، ومن أهم الصحف اليومية التي صدرت في تلك المدة هي صحيفة الجهاد عام 1953، والبلاد عام 1956، والمنار والشعب عام 1960.[44] ومن المجلات التي صدرت في القدس، مجلة الهدف عام 1950. وبعد الاحتلال الصهيوني وبعد حجب العديد من الصحف العربية المقدسية عادت جريدة البشير إلى الصدور عام 1969، والشعب عام 1972، وصوت الجماهير عام 1973، وجريدة القدس عام 1976. فضلا عن قيام سلطات الاحتلال الصهيوني بإصدار صحف باللغة العربية كصحيفة الانباء وهي يومية عام 1967، وصدرت عن مؤسسة الهستدروت.[45]

مارست الصحف المقدسية دورا بارزا في التصدي لمخططات الصهاينة التهويدية، وفضح ممارساتهم، والكشف عن أهداف الحركة الصهيونية، والقيام بحملات إعلامية ضد الهجرة اليهودية. وساعدت على أنماء الروح الوطنية والنهضة الفكرية والثقافية، ورغم ممارسات سلطات الاحتلال ضد الصحف المقدسية

والمضايقات المستمرة، والغلق للمقرات إلا أن العمل الصحفي بقي مستمرا وقدم صورة من أسمى صور النضال، ضد الوجود الصهيوني في القدس وفلسطين. وتنوعت الصحف بين سياسية وأدبية واقتصادية ودينية.[46] وساهمت المؤسسات الصحفية الفلسطينية في زيادة الوعي لدى السكان الفلسطينيين، عن طريق نشر الأخبار الصحيحة وفضح ممارسات العدو الصهيوني، وتكوين رأي عام مشبع بالثقافة الفلسطينية، والحفاظ على العادات والتقاليد التي رافقت الشعب الفلسطيني وسكان القدس من عقود طويلة من الزمن. ولقي عمل هذه المؤسسات استجابة لدى المقدسيين، مثل سكان البلدة القديمة الذين استجابوا لمؤسسة الدفاع القانوني عن العقارات، التي وظفت الإعلام للتصدي لحملات المستوطنين، إذ قاموا بأعمال ترميم المباني السكنية وتأهيلها لتحسين شروط سكن الفلسطينيين، والتمسك بمساكنهم. الأمر الذي أدى إلى رفع قيمة العقارات وزاد في شدة تعلق السكان الفلسطينيين باملاكهم، وبالتالي قطع الطريق على سلطات الاحتلال الصهيوني وتعطيل مخططاته.[47]

3- مؤسسات الوقف ودورها في منع التهويد

لابد من الاشارة في هذا المقام إلى أن الشائع في بيت المقدس هو الوقف الخيري والوقف الذري[48] بصورة لافتة.[49] لقد عمدت سلطات الاحتلال الصهيوني إلى ضم مساحات واسعة باتجاه الغرب للمدينة المقدسة، بحيث تم التعديل على التسوية الطوبوغرافية لتتسع بلدية القدس من 6.5كم، إلى 70.5كم مربع. حيث تم إخراج التجمعات العربية من المنطقتين الشرقية والشمالية الغربية، كقرى العيزرية، أبو ديس، السواحرة، الزعيم، الرام، رفات، قلنديا، بير نبالا، الجديرة، الجيب، بيت عنان، قطنة، والقبيبة. الأمر الذي أدى لتقليص حدود القدس جغرافيا وإداريا من الجهتين المشار اليهما أعلاه والمتعارف عليهما على مر الحقب التاريخية، منذ عهد الدولة العثمانية مرورا بالاحتلال البريطاني، حتى العهد الأردني بهدف خلق توازن ديموغرافي لصالح اليهود.[50] إن هذا التقسيم الطبوغرافي شدد الخناق على المقدسيين من ناحيتين:

1. إن الرقعة الجغرافية لحدود القدس المعروفة تاريخيا قلصت بما لا يتناسب وحجم الإنجاب الطبيعي للعرب.
2. إن العربي المقدسي الذي لا يحمل الجنسية الصهيونية لا يستطيع أن يقطن في المناطق الموسعة باتجاه الغرب لأنه محظور عليه شراء العقارات في مناطق صهيونية وفق قانون الصندوق القومي اليهودي (الكيرن كايمت)،[51] ولوجود عدد من الفتاوى الصادرة من حاخاماتهم تمنع اليهود من بيع عقاراتهم للعرب.[52]

إن تقليص الرقعة الجغرافية لحدود مدينة القدس شرقا وشمالا وغربا، مع زيادة النمو الديموغرافي للعرب، جعل العقارات الموقوفة في البلدة القديمة لمدينة القدس محل سكن وتسكين، بحيث أضطر المواطن العربي ممن يحمل الهوية الزرقاء للبحث عن أي زاوية في القدس القديمة لإيوائه وأفراد أسرته حفاظا على الهوية الزرقاء التي تساهم وبالتوازي مع الاقامة في تلقي الحقوق الاجتماعية. مما أدى إلى انقلاب السحر

على الساحر، إذ بتقليص الرقعة الجغرافية للمدينة المقدسة من النواحي الشمالية والشمالية الغربية، دفع المواطن العربي إلى العودة للبلدة القديمة، التي أصبحت تعج بالمواطنين العرب بصورة كبيرة وهو الامر الذي لم يحسب له الاحتلال الصهيوني حسابا.[53] وبناء على ما تقدم كانت العين الموقوفة حصنا منيعا في وجه تهويد القدس، فضلا عن أن عمارة الاعيان الموقوفة بالناس وإعادة ترميمها بسبب سياسة سلطات الاحتلال في سحب الهويات الزرقاء، أدت إلى إرساء دعائم المؤسسات الوقفية ووقوفها مع المؤسسات الفلسطينية الإخرى حائلا دون تنفيذ الاحتلال الصهيوني لمخططاته الماكرة، مع التأكيد على أن تلك العقارات لا يرد عليها بعض أوجه التصرفات القانونية من بيع أو هبة.[54]

دخلت المؤسسات الفلسطينية في القدس الشريف بعد عام 1948، في صراع مؤسساتي مع الدخيل الجديد (المحتل الصهيوني)، الذي جاء بمنظومة جديدة تخص المؤسسات، بقصد إحلالها محل المؤسسات الفلسطينية الاصيلة. إلا أن الفلسطينيين قاوموا وحافظوا على مؤسساتهم رغم أساليب الصهاينة المنتهجة بقصد القضاء على هذه المؤسسات التي يرون فيها أداة مهمة لمقاومة سياستهم التهويدية. ومن أهم ما قام به الصهاينة هو استحداث غطاء قانوني لعرقلة أداء المؤسسات، وفي أحيان كثيرة غلقها نهائيا. وأمام هذا الواقع برزت نخبة من المقدسيين ترى أنه لابد من استخدام أساليب أخرى، إلى جانب المقاومة السلمية لمواجهة الاحتلال، ألا وهي استعمال العنف والانتفاضات.[55]

ثالثا: استخدام العنف والانتفاضات الجماهيرية

لقد اتسمت مرحلة ما بعد نكبة 1948، وصولا إلى الانتفاضة الاولى عام 1987 بضعف المقاومة المسلحة، وطغيان المقاومة السلمية،[56] الا ما ندر من الحوادث المتفرقة بين الحين والاخر.

1– نماذج لبعض العمليات المسلحة[57]

إن الصراع الفلسطيني اليهودي حول القدس ليس صراعا سياسيا بقدر ما هو صراع ديني عقائدي لإثبات هوية المدينة الحقيقية.[58] وقد تجسد هذا في استخدام العنف كوسيلة ردع للسكان المقدسيين من قبل الصهاينة. وبالمقابل قاوم أصحاب الحق ودافعو عن مقدساتهم رغم التباين في الامكانيات بين الجانبين، مع أفضلية الجانب الفلسطيني بامتلاك عزيمة قوية، وإصرار كبير على الدفاع عن الارض والهوية، وذلك ما لا يملكه العدو الصهيوني الذي اعتدى على الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني.

أ– العمليات التي نفذتها معسكرات الشيوخ

وتسمى عملية الحزام الاخضر في 31 اب /اغسطس عام 1969، بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية، حيث استهدفت ثلاث مستعمرات متقاربة وهي بارونا، وتيت يوسف، وبيت يور، وتم الهجوم في ليلة

واحدة وكانت أصداؤها مدوية. وهناك ايضا عملية دير ياسين في الجولان ضد مستعمرة ناحلة جولان في ليلة 14 ايلول /سبتمبر 1969، حيث تم تدمير نادي الضباط ومحطة للوقود ومستودعات التموين وسيارات عسكرية صهيونية.[59]

ب- العمليات في القدس

قامت المقاومة الفلسطينية في الاشهر الاولى من عام 1967.بما يقارب (37) عملية فدائية، وفي 22 تشرين الثاني/ نوفمبر 1968، قتل في انفجار سيارة مفخخة نحو (11) مغتصبا وأصيب (54). وحدثت أيضا هجمات بالقنابل في شهري اذار/ مارس، ونيسان/ ابريل عام 1969، كانت إحداها في المكتبة القومية بالجامعة العبرية، فأصيب (26) مستوطنا ولحق دمار شديد بالمبنى. هذا فضلا عن العديد من العمليات الفدائية، حتى اعتبرت القدس أكثر المدن التي تشهد عمليات للمقاومة.[60] وفي أحد أكثر شوارع القدس ازدحاما ترك رجال المقاومة ثلاجة قديمة فيها (15)كغم من المتفجرات، وذلك عام 1975. وعقب الانفجار طوقت الشرطة الصهيونية المكان واعتقلت عددا من المواطنين ممن كانوا على مقربة من مكان الانفجار، وصرح المسؤولون الصهاينة بأنهم سيزيدون من تدابير الأمن ضد القادمين إلى المدينة.[61] غير أن الإجراء السياسي الأكثر أهمية بعد هذه الأحداث والعمليات هو إغلاق الجسور على نهر الأردن لمدة قصيرة، ومن ثم إصدار قرار يمنع سفر سكان الضفة الغربية إلى الدول العربية، على أن يشمل هذا المنع الاشخاص الذين تتراوح أعمارهم ما بين (16- 40) سنة.[62]

وكان الفدائيون يسعون من خلال عملياتهم الفدائية إلى إحداث صدى دولي كبير، وهو ما كان يحدث بعد كل عملية. فمنذ كانون الثاني 1975 نفذت في القدس وحدها (52) عملية فدائية، منها عمليات ضد محطات نقل الجنود اليهود، وزرع المسامير على الطرقات التي تمر فيها السيارات العسكرية.[63] ومع تطور الاحداث، رأت منظمة التحرير الفلسطينية، أن الوقت أصبح سيفا مسلطا على رقبتها، وقررت في قصر الصنوبر بالجزائر في نيسان/ ابريل 1987، أن تتحرك إلى التسوية قبل فوات الأوان.[64] غير أن المنحنى التصاعدي للعمليات الفدائية العسكرية ضد المحتل الصهيوني بقي يتصاعد ويتطور لدى المقاومين، والفلسطينيين الذين أدركوا خطورة ما يقع للمدينة المقدسة خاصة وللأراضي الفلسطينية عامة من محاولات تهويد، وظهرت أساليب أخرى جديدة للمقاومة العنيفة كان من ثمراتها اندلاع الانتفاضة الأولى عام 1987.

2- انتفاضة الحجارة عام 1987

جاءت الانتفاضة نتيجة حتمية وطبيعية ردا على سلوكيات وممارسات سلطات الاحتلال الصهيوني وسياسته، التي تمثلت في استغلال ومصادرة الأراضي والثروات الطبيعية والمياه، واستغلال الأيدي العاملة،

والعمل على دمج المناطق المحتلة بالاقتصاد الصهيوني، وسياسات التهويد الممنهجة. وقد أدى ذلك إلى تكرار حالات التعبير عن الاحتجاج، التي كانت تقابل بتدابير قمعية قاسية، وتراكم الهموم الشخصية عبر الأجيال، ولجوء سلطات الاحتلال إلى انتهاج سياسات قمعية بصورة متزايدة استفز السكان مرارا للرد وتحدي سلطاته.[65] وجاءت الانتفاضة بعد إدراك الشعب الفلسطيني المسلم ضرورة الكفاح المستمر الذي يجب أن يشعر به الكيان الصهيوني، وحتى لا يأمن على نفسه الجانب الفلسطيني قبل استرجاع حقوقه المسلوبة وأرضه المغتصبة، وعلى رأسها القدس.[66] وهي رد على الدعايات التي أطلقها المحتل اليهودي، بأن الشعب الفلسطيني والمقدسيين قد تم إدماجهم في المجتمع الصهيوني، ونجحت مخططات التهويد في تحويل المدينة إلى منطقة يهودية خالصة.

أسباب اندلاع الانتفاضة الاولى عام 1987م:

1. السياسة الصهيونية الاجرامية تجاه فلسطين، وخاصة في مدينة القدس، فضلا عن إصدار مراسيم وقوانين مصادرة أراضيها، كان لا يسمح للفلسطينيين ببناء أعلى من طابقين، بينما كان يسمح لليهود ببناء ثمانية طوابق.
2. سياسة هدم البيوت، والاعتقال التعسفي، والضرائب الباهظة، وسياسة إلحاق الضفة الغربية والقطاع اقتصاديا بالكيان الصهيوني، وتضييق فرص العمل، والمحاولات الحثيثة لتهويد القدس، وزيادة الاعتداء على المساجد والآثار، والمقدسات الإسلامية من جهة، وتنامي الصحوة الإسلامية وبروز التيار الإسلامي كأحد أقوى التيارات الشعبية في فلسطين، أسهم في نمو القيم الإسلامية والمشاعر الدينية، وإذكاء مشاعر الجهاد والدفاع عن المسجد الأقصى.[67]
3. تزايد الكثافة السكانية الفلسطينية التي أصبحت تقلق السلطات الفلسطينية لأنها ستؤدي إلى تغير ديموغرافي لصالحهم وفي القدس خصوصا تضاعف العدد من (60) الفا عام 1967 إلى (122) ألف عام 1983، فلم تجد السلطات الصهيونية سبيلا لمواجهة ذلك إلا بإجبار السكان ودفعهم لترك أراضيهم والهجرة نهائيا من فلسطين، ولم يمنحوا إجازات بناء على أراضيهم وأصبح غرس شجرة زيتون يتطلب أذنا خاصا يصعب الحصول عليه، وتعقدت عملية تحويل الأموال من الخارج إلى فلسطين بقصد تضييق سبل العيش أمام الباقين في فلسطين.[68]
4. نشاطات الحركات الدينية اليهودية المتطرفة، مثل كتلة الإيمان التي ترى أن إقامة اليهود على مجمل أرض الميعاد، هو واجب ديني لا يحق لأي سلطة دنيوية التشكيك فيه فقاموا بإنشاء المستوطنات غير الشرعية، ثم اعتراف الحكومة بها بعد ذلك.[69]
5. حالة الملل واليأس التي وصل إليها الشباب الفلسطيني عموما والمقدسي خصوصا بفعل الممارسات الصهيونية تجاه الأقصى والقدس والأراضي المحتلة الفلسطينية، مما جعله يبحث عن منافذ يخرج منها

إلى وضع أحسن وحياة أفضل، ولو بالانخراط في حركات المقاومة المسلحة كحركة المقاومة الإسلامية (حماس)،[70] وخوض كفاح فعلي وفعال، يرجع له هيبته وكرامته ويحافظ له على هويته من المسخ والتهويد ويسترجع حقوقه.[71]

وشارك في الانتفاضة الشعب الفلسطيني بمختلف أطيافه وفئاته، وعلى رأسهم الاطفال، وبأبسط الوسائل وهي الحجارة، حتى سميت بثورة الحجارة، الذين كانوا يقومون يوميا بتنظيم المظاهرات والاضرابات، وقيادة حركة العصيان المدني.[72] وقامت الانتفاضة على قاعدة التنظيم الاجتماعي الفلسطيني المستقل، تفتح الأسواق متى يقرر الفلسطينيون وليس متى يقرر جيش الاحتلال، تغلق الطرق متى أرادت قيادة الانتفاضة وجماهيرها ويذهب العمال إلى العمل وفقا لقرار قادة الانتفاضة، وصولا إلى الامتناع عن دفع الضرائب، والعصيان المدني الشامل، كما في تجربة بيت ساحور وغيرها. وكان لها ركائزها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ودشنت هجمات المقاومة باقتحام شاحنة صهيونية في 9 كانون الاول/ديسمبر 1987 عددا من الفلسطينيين عند بيت حانون في قطاع غزة فاستشهد منهم أربعة، لتشتعل بعد ذلك الشرارة الأولى للانتفاضة بالخروج في مظاهرات عارمة، انطلاقا من معسكر لاجئي جباليا، لتشمل بعدها بقية المناطق من قطاع غزة إلى الضفة الغربية بما فيها القدس.[73]

كان لانبعاث الانتفاضة من داخل الأراضي المحتلة النقطة الفاصلة والحاسمة التي حولت معادلة الصراع عبر النهوض الجماهيري الشامل الذي التحم مع القيادة الوطنية التي تزايدت قدراتها النضالية وخبراتها على مدى (22) عاما في الداخل والخارج.[74] ووصفت في كتاب القضية الفلسطينية في أربعين عاما بأنها حرب مواجهة وليست كلاسيكية شبه نظامية، وهذه المؤشرات دليل على حجم المخزون النضالي الكامن في النفوس.[75]

3- أثار الانتفاضة المباركة

خلفت الانتفاضة عدة آثار ونتائج مست الجانبين الشعب الفلسطيني والمحتل الصهيوني الغاشم.

أ- على المستوى الصهيوني

أن قوة واتساع الانتفاضة أربك القيادة الصهيونية السياسية والعسكرية، لأنها لم تستطيع تحديد طبيعة الانتفاضة بدقة، هل هي حرب؟ وإذا كانت كذلك، كيف يمكن التعامل معها وبأية وسيلة؟ وإذا كانت تمردا كيف يمكن وضع حد له؟ أم هي نزاع طويل وإلى متى سيستمر؟ وساد اتفاق في الحكومة الصهيونية بأنها حرب، بقواعد مختلفة. ورفض معظم الوزراء اعتبارها نزاعا طويلا بل كان معظمهم يريد أن يرى الانتفاضة وكأن بالإمكان القضاء عليها دفعة واحدة بحل عسكري. وثمة من كان يرى أن أحدا لا

يعترض على أن الانتفاضة هي حرب في كل شيء، وهي أسوء وأصعب من جميع الحروب التي مر بها الكيان الصهيوني، لأنها حرب تواصلت وطويلة وقريبة من بيتنا.[76]

كذلك تكبيد الاحتلال الصهيوني أكبر قدر ممكن من الخسائر المادية والسياسية والاقتصادية.[77] وكلفت احتياجات قوات الاحتلال الخزينة الصهيونية لقمع الانتفاضة بين ثلاثة وأربعة ملايين شيكل يوميا، وذلك كأثمان لوسائل قتالية، وأيام الخدمة في الاحتياط وأيام الخدمة الالزامية، وانخفاض السياحة، ومقاطعة الفلسطينيين للمنتجات الصهيونية، وعدم انتظام العمال في الاراضي المحتلة في أعمالهم.[78] وشكلت الانتفاضة خطرا على سياسة التهويد، خاصة ما تعلق بشأن الاستيطان والهجرة لبناء الدولة اليهودية، وبالاحتلال العدواني وسيلة لتنفيذ أهدافه الاستراتيجية، فمثلت بذلك الانتفاضة شكلا من أشكال المواجهة الفلسطينية للمد اليهودي، وأثرت الانتفاضة على نفسية الجنود الصهاينة من خلال اندهاشهم من أعداد الفلسطينيين، إذ سأل الجنود في جيش الاحتلال الصهيوني وزير الدفاع إسحاق رابين، عند اندلاع الانتفاضة عام 1987، "من أين يأتي مئات المتظاهرين الذين يلقون بالحجارة علينا".[79] في حين كتب المدير العام المشترك للمنظمة الصهيونية الفلسطينية للبحوث والمعلومات يقول "أن الفلسطينيين يعرفون أن قوتهم العسكرية أقل بأضعاف من القوة الصهيونية، وأنه لا توجد أمامهم أية إمكانية للفوز في أرض المعركة، ولكنهم يؤمنون من الناحية الأخرى بتفوقهم السياسي والأخلاقي واعتقادهم أن العدل والتاريخ يقفان إلى جانبهم".[80]

ب– على المستوى الفلسطيني

جسدت الانتفاضة أحد أهم المبادئ التي قامت عليها حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، والتي من خلال إيمانها الراسخ بأن أرض فلسطين بما فيها القدس أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط بها أو بجزء منها، ولا يملك ذلك ملك، ولا رئيس، ولا تملك ذلك دولة عربية، ولا منظمة من المنظمات.[81] ترى في ضرورة الدفاع عن أرض المسلمين، وتخليص المقدسات من براثن الاستعمار اليهودي واجبا شرعيا وتكليفا ربانيا، وأمر للمسلمين لابد من تحمله، والحرص عليه، وحسب ما جاء في ميثاقها أنه "لن نقف مكتوفي الايدي أذا ما تعرضت حرمة المقدسات والديار للبيع البخس أو تنازلات تجار الضرار".[82]

وأثرت الانتفاضة على النظرة الصهيونية للاستيطان الذي يعد أحد أهم ركائز التهويد، بل هو الركيزة الأساس لعملية التهويد، من حيث أصبح المستوطنون يمثلون عبئا على المؤسسة العسكرية إذ وصف أحد المسؤولين السياسيين المستوطنات بأنها عبء، وعبارة عن ثقوب في الرأس.[83] ونتيجة الانتفاضة انخفض عدد المستوطنين بأعداد كبيرة جدا، من (70) الفا عام 1987، إلى (10) آلاف بعد

عام 1987، في مناطق الضفة والقطاع.[84] وأثبت الفلسطينيون قدرتهم على التحمل والصبر المتواصل، في هبوط مستوى معيشتهم إلى درجة كبيرة،[85] وكان السلاح البسيط الذي قاوم به المنتفضون اليهود، والمتمثل بالحجارة، قد أضفى على هذا الحدث صبغة مميزة، جذبت من خلالها الرأي العام العالمي وتعاطفه.[86] وترتكز الانتفاضة إلى فعالية ومبادرة الجماهير الفلسطينية كأساس لكل إنجازاتها.[87] وبذلك فإن ما يميز انتفاضة 1987 أنها "شملت جميع فئات الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، شيبا وشبابا ونساء وأولادا وقرويين ومدنيين، متدينين وعلمانيين، اصطبغت الصفة الشعبية لهذه الموجة من المقاومة، فقد حولت المظاهرات إلى انتفاضة وإلى عنف مدني شامل والصفة الشعبية هي التي أضفت على الانتفاضة شموليتها، كذلك المظاهرات كانت في كل مكان، والقرى والمخيمات".[88]

لقد كان كل يوم يمر على الانتفاضة يسهم في مزيد من فضح الصهاينة ومنطقهم السياسي المزيف وخطابهم الإعلامي الهزيل، فهو لم يعد مقنعا لاحد، ولا حتى للمجتمع الصهيوني نفسه. والواقع أن أطفال الحجارة قد عملوا على ضرب ذلك الصرح الاعلامي الضخم الذي شيده الصهاينة عبر العقود الأربعة الماضية، وبغياب مطلق من الاعلام العربي.[89]

شكلت انتفاضة عام 1987 نقله نوعية في تاريخ الشعب الفلسطيني، وجهاده المتواصل ضد الوجود الصهيوني على أرضه. حيث أنهكت الانتفاضة –التي تعتبر من أهم الوسائل التي واجه بها الفلسطينيون وسكان القدس خصوصا مخططات التهويد المتواصلة– الحكومة الصهيونية فكريا وماديا وعسكريا. فما زالت تحاول إخماد هذه الانتفاضة التي امتدت قرابة السبع سنوات. و لم تكن الانتفاضة لتنطلق لولا وجود الانتهاكات الصهيونية التي طالت الأرض والعرض والمقدسات الدينية، ومخططات التهويد لبيت المقدس خاصة، قرابة أكثر من عشرين عاما.[90]

وبينت الانتفاضة أن صاحب الحق وإن كان لا يملك أدوات المواجهة، نتيجة التضييق والحصار وخذلان الأشقاء، أقوى بصموده وأيمانه بقضيته العادلة، وأن العدو ضعيف رغم ما يملك من عدة وعتاد ومساندة أعوان الشر. وقد فشل العدو الصهيوني في تمرير مخططاته الرامية إلى تهويد الأرض وتضييق الخناق على المدينة المقدسة ومحاصرتها بالأطواق الاستيطانية، التي قل سكانها المستوطنون الغاصبون، نتيجة لضربات الانتفاضة. وهذا اظهر مدى تلاحم الشعب الفلسطيني وتماسكه في وجه وغطرسة الآلة الصهيونية، التي عجزت أمام حجارة الأطفال المنطلقة من بنادق الحق والقوة لأصحاب الأرض الحقيقيين. كما أظهرت حب المقدسيين لمدينتهم التاريخية ومقدساتها الدينية التي كانت على مر التاريخ إرثا حضاريا وكنزا لا يضاهيه ثمن، فهي عروس المدائن التي لا يمكن أن تكون يوما لليهود الغاصبين.

الخاتمة

لقد واجه سكان بيت المقدس مخططات الصهاينة، الرامية إلى التهويد والطمس لمقومات الشخصية العربية الإسلامية، بشتى الوسائل المتاحة. والتي مكنتهم من الوقوف في وجه تلك الممارسات، رغم التباين والفرق الواضح في أمكانيات الطرفين. انتفض المقدسيون للحفاظ على هويتهم وبلدهم وأقصاهم من الخطر الصهيوني، وواجهوا أساليب المسخ في كل المستويات، وجوانب الحياة. ففي التعليم رفضوا جملة وتفصيلا المناهج الصهيونية، وبقوا متمسكين بالمنهاج العربي الأردني، ومارست المدارس الأهلية ومدارس الأوقاف، دورا قياديا في ذلك.

وبما أن بيت المقدس هي مركز فلسطين الحضاري، فإنها اشتملت على منظومة مؤسساتية، كان لها الأثر البارز في التصدي للاحتلال، كالمؤسسات الصحفية، ومؤسسات الوقف الذري والاتحادات العمالية والنقابات. ولاستفحال وتنامي مخططات الصهاينة وأساليبهم الماكرة للقضاء على مرتكزات الهوية الفلسطينية، تطورت عملية المقاومة وظهرت إلى جانب المقاومة السلمية، المقاومة العنيفة، خاصة في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي متمثلة بالعمليات الفدائية المتفرقة. ولعل أبرزها كان الانتفاضة الأولى عام 1987، حيث أثبت المقدسيون وكافة الفلسطينيين أن جذوة الجهاد والنضال لم تنطفئ كما اعتقد العدو المحتل في فترة ما، وبرهنوا على وجودهم، وعبروا عن رفضهم العميق لممارسات الاحتلال. كما وأدخلت الانتفاضة الشك في نفوس الصهاينة، ولا يزال المقدسيون بنفس الروح والعزيمة يقاومون هذا العدو الاستيطاني الغاصب، حتى يأتي الله بالنصر وهو على كل شيء قدير.

الهوامش

1 سمير جريس، **القدس: المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد**، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1981، ص169.

2 المرجع نفسه.

3 ديمة السمان، **التعليم في القدس تحد وصمود (مشكلات تعليم المواطنة في القدس)**، وزارة التربية والتعليم العالي، رام الله، 2012، ص2.

4 محسن محمد صالح، **فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية**، ط1، مركز الاعلام العربي، القاهرة، 2003، ص121.

5 التقرير المعلوماتي رقم 6: **التعليم في القدس**، اعداد دائرة الاعلام والمعلومات، مؤسسة القدس الدولية، بيروت، 2010، ص8-9.

6 مهند تميم، **بيت المقدس ونكسة حزيران**، مؤسسة القدس للثقافة والتراث، تاريخ زيارة الموقع 2019/4/12، ينظر: الموقع https://alqudslana.com، ص 3.

7 التقرير المعلوماتي رقم 6، المصدر السابق، ص9-10.

8 **كتاب القدس، تهديدات ومخاطر**، اعداد دائرة البرنامج الحكومي، الامانة العامة لمجلس الوزراء، السلطة الفلسطينية، رام الله، فلسطين، 2007، ص 64-65.

9 ابراهيم ابو جابر واخرون، **مستقبل القدس وسبل انقاذه من التهويد**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، د.ت، ص76.

10 ايمان مصاروة، **أثر الاحتلال الاسرائيلي على التعليم في القدس**، ط1، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، فلسطين، 2014، ص 91.

11 كتاب القدس، تهديدات ومخاطر، المصدر السابق، 65.

12 سمير جبريل، **تعدد مرجعيات التعليم في القدس، واقع وتحديات**، الائتلاف الاهلي في القدس، القدس، 2008، ص6.

13 مصاروة، المصدر السابق، ص 93.

14 جريس، المصدر السابق، ص 171.

15 جبريل، المصدر السابق، ص7.

16 أحمد الاشقر، **ماذا يتعلم الطلاب العرب في مدارس اسرائيل**، مجلة الجيل، م(10)، ع(3)، بيروت، 1989، ص36.

17 تميم، المصدر السابق، ص 3.

18 روحي الخطيب: ولد في مدينة القدس عام 1914، اختارته الحكومة الاردنية عام 1957، ليكون رئيسا لبلدية القدس، تصدى لسياسة الاحتلال الصهيوني، اعتقل وابعد في 7 اذار/ مارس 1968 إلى الاردن. ينظر: جريدة الدستور الاردنية، ع(15241)، السنة(42)، يوم 19/ 12/ 2009.

19 صلاح مصطفى العويصي، **المقاومة اللاعنفية في فلسطين**، رسالة ماجستير، جامعة الازهر، غزة، فلسطين، 2013، ص 81.

20 رائد عواشرة، **المنظمات غير الحكومية الفلسطينية**، هوية اهلية ام غير ذلك ؟، مجلة تسامح، ع(35)، رام الله، فلسطين، 2011، ص 64-65.

21 Mohmoud Awad (1995) *Jerusalem in the United Nation Resolutions 1947- 1995*. Amman: the Royal Committee for Jerusalem Affairs, p38.

22 جيفري ارونسون، **سياسة الامر في الضفة الفلسطينية، اسرائيل والفلسطينيون من حرب 1967 إلى الانتفاضة**، ترجمة: حسني زينة، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1990، ص 67.

23 باسم حضر التميمي، **انتفاضة الاقصى بين القصف الاسرائيلي والقمة العربية**، (فلسطين، 2000)، ص211.

24 عبد الحميد السائح: من مواليد نابلس عام 1907، درس في الازهر وتخرج قاضيا شرعيا، عمل مدرسا للغة العربية، كان من ضمن الوفد الاردني لدى الامم المتحدة، تم ابعاده من فلسطين عام 1967، له العديد من المؤلفات، ساهم بشكل بارز في الحركة الوطنية الفلسطينية، توفي في عمان عام 2001 ودفن في القدس. ينظر: زياد سلامة، **الشيخ عبد الحميد السائح فكره وحياته ومواقفه**، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، 1995، ص 7.

25 ارونسون، المصدر السابق، ص 71- 78؛ العويصي، المصدر السابق، ص 92.

26 التميمي، المصدر السابق، ص235؛ القدس تهديدات ومخاطر، المصدر السابق، 72.

27 المصدر نفسه، ص 241.

28 غازي الخليلي، **الارض المحتلة، انتفاضة مستمرة**، مجلة شؤون فلسطينية، ع (62)، بيروت، 1977، ص228.

29 العويصي، المصدر السابق، ص83.

30 عمر سمحة، **النظام المحلي الفلسطيني هل من تقاليد انتخابية**، مجلة دنيا الوطن الالكترونية، تاريخ الزيارة 18/ 6/ 2019، ينظر: الموقع https://pulpit.alwatanvoice.com

31 العويصي، المصدر السابق، 84.

32 التميمي، المصدر السابق، 149.

33 هواري هشام، **ملاحظات حول الانتفاضة في الارض المحتلة خلال العام 1976**، مجلة شؤون فلسطينية، ع (67)، بيروت، 1977، ص 117-120.

34 يعقوب عودة، **اغلاق مؤسسات القدس تطهير عرقي لمدينة القدس العربية**، مجلة حوليات القدس، ع(8)، بيروت، 2010، ص 29-49.

35 محمد خالد الازعر، **القدس بين الانتفاض والتفاوض**، ط1، مركز الاعلام العربي، القاهرة، 2001، ص 42.

36 عودة، المصدر السابق، ص 39.

37 الازعر، المصدر السابق، 69.

38 عبير داود المراغي، **تأثير الاحتلال الاسرائيلي على الهوية الوطنية الفلسطينية**، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الاوسط، عمان، 2013، ص102.

39 الازعر، المصدر السابق، ص 70.

40 المراغي، المصدر السابق، 101.

41 عودة، المصدر السابق، ص 31.

42 العويصي، المصدر السابق، 105.

43 المراغي، المصدر السابق، ص110؛ فايز جابر، **الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة**، ط1، دار البيرق للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1987، 185-194.

44 شوقي شعث، القدس الشريف، مجلة افاق، ع(74)، الامارات، 2009، ص 89-90.

45 انشئت الهستدروت في ديسمبر عام 1920، في حيفا وهي عبارة عن نقابة عمالية يهودية. ينظر: شعث، المصدر السابق، ص 90.

46 شعث، المصدر السابق، ص 89.

47 نظمي الجبعة، **القدس بين الاستيطان والحفريات**، مجلة حوليات القدس، ع(8)، بيروت، 2010، ص 5-6.

48 معيار التفرقة بين الوقفين الخيري والذري هو الجهة الموقوف عليها، فإذا كانت جهة الوقف عامة، كان وقفا خيريا، وإذا كانت جهة الوقف خاصة بأهل الواقف واقاربه، كان وقفا ذريا. للتفاصيل ينظر: محمد شلبي، **احكام الوصايا والاوقاف، بين الفقه والقانون**، دار التأليف، القاهرة، 1983، ص 194.

49 فواز ابراهيم نزار عطية، دور الوقف الذري، الاهلي في مقاومة تهويد القدس، ورقة بحثية مقدمة لكلية الحقوق، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2013، ص 10.

50 عطية، المصدر السابق، ص 15.

51 الكيرن كايمت: هو الصندوق القومي اليهودي، انشئ عام 1901، وخصص لشراء الاراضي الفلسطينية، بقصد زيادة مساحة الاراضي اليهودية، لتحقيق المشروع الصهيوني الاستيطاني. ينظر: مروان عبد الرحمن حسين ابو شمالة، الاستراتيجية الصهيونية تجاه مدينة القدس 1897-1948، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، 2012، ص 197.

52 مجلة عدالة الالكترونية، ع(8)، **الكيان الصهيوني**، 2004، ينظر الموقع https://www.adalah.org

53 للتفاصيل ينظر: **التقرير الصادر حول وضع قرية الرام**، عن مركز المعلومات الاسرائيلي لحقوق الانسان (بتسيلم). الموقع https://www.btselem.org/arabic

54 عطية، المصدر السابق، ص 18.

55 سميح حمودة، جمع وتحقيق: **وثائق مقدسية تاريخية**، مجلة حوليات القدس، ع(9)، رام الله، فلسطين، 2010، ص 72.

56 العويصي، المصدر السابق، ص 80.

57 اغلب هذه العمليات فدائية لا تتبع نظام المواجهة المباشرة.

58 اناتولي احاريشيف، **التآمر ضد العرب**، ترجمة: فهد نقش، دار التقدم، موسكو، 1988، ص 135.

59 محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس**، ط1، مركز الاعلام العربي، القاهرة، 2003، ص229.

60 تميم، المصدر السابق، ص 3.

61 حسين عويضة، **القضية الفلسطينية عسكريا، العمليات الفدائية في الأرض المحتلة والرد الاسرائيلي عليها**، مجلة شؤون فلسطينية، ع(48)، بيروت، 1975، ص 291.

62 عيسى الشعبي، **المناطق المحتلة**، مجلة شؤون فلسطينية، ع(48)، بيروت، 1975، ص 269.

63 حمدان بدر، **عملية القدس تسبب صدمة في اسرائيل، والسلطات الاسرائيلية تشن حملة ارهاب واعتقالات واسعة**، مجلة شؤون فلسطينية، ع(48)، بيروت، 1975، ص 266.

64 رمضان شلح، **حلقة نقاش حول اعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية والانتفاضة، الحصيلة والمستقبل**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 123.

65 العويصي، المصدر السابق، ص 89.

66 أحمد بن علي، **الانتفاضة الفلسطينية، من تقنية المقلاع إلى والحجر إلى استراتيجية الخنجر**، مجلة الارشاد، ع(1)، جمعية الاصلاح والارشاد، الجزائر، 1991، ص 12.

67 صالح، الطريق إلى القدس، ص 238-239.

68 سامية محمد جابر، **قضايا العالم العربي**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2003، ص 283.

69 جابر، قضايا العالم العربي، ص 282.

70 برز اسم حركة المقاومة الاسلامية(حماس) مع انطلاقة انتفاضة عام 1987، وعرفت نفسها بأنها من احنحة الاخوان المسلمين في فلسطين، فجذورها تمتد إلى الاربعينيات وحرب 1948، وأصدر مؤسسها الشيخ أحمد ياسين بيانها الاول، عقب اندلاع الانتفاضة. ينظر: صالح، فلسطين دراسات منهجية، ص 408-410.

71 علي، المصدر السابق، ص52.

72 محمد الدرعي، **التطورات السياسية في الوطن العربي**، ط1، دار مدني للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995، ج2، ص 68.

73 هارون هاشم رشيد، **انتفاضة الاقصى، عام من البطولة والاستشهاد**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002، ص 15.

74 لطفي الخولي، **الانتفاضة والدولة الفلسطينية**، ط1، مركز الآراء للترجمة والنشر، القاهرة، 1988، ص418.

75 عبد العزيز السيد واخرون، **القضية الفلسطينية في اربعون عاما**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1989، ص 420.

76 McDowall, David (1989) *Palestine and Israel: The Uprising and Beyond*. London: I.B. Tauris Company, p94.

77 العويصي، المصدر السابق، ص 89.

78 المصدر نفسه، ص 90.

79 هيثم عوراني، **الاستيطان في الفكر الصهيوني**، مجلة الوحدة، ع(535)، الجزائر، 1991، ص 35.

80 عبد الوهاب المسيري، **من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية (أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني)**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002، ص 127-128.

81 ف امين، **حركة المقاومة الاسلامية حماس هوية ومواقف**، مجلة الارشاد، ع(1)، جمعية الارشاد والاصلاح، الجزائر، 1991، ص 15.

82 أحمد بن يوسف، **حماس حدث، عابر ام بديل دائم؟**، مجلة الاصلاح الثقافي، ع(157)، المركز العالمي للبحوث والدراسات، الامارات العربية المتحدة، 1990، ص 46

83 المسيري، المصدر السابق، ص 45.

84 أحمد يوسف أحمد، **المخطط الراهن لتهجير اليهود السوفيات إلى فلسطين، الجذور، الوقائع، المستقبل**، مجلة المستقبل العربي، ع(141)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990، ص 98.

85 العويصي، المصدر السابق، ص 93.

86 هيثم الكيلاني، **منظمة التحرير الفلسطينية والانتفاضة**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 163.

87 سالم ابو هواش، **الكفاح الجماهيري واحتمالات المقاومة المسلحة**، جريدة فلسطين، ع(11)، الثلاثاء 3/15/ 2011.

88 زهير ابراهيم المصري، **اتجاهات الفكر السياسي بين الكفاح المسلح والتسوية**، اطروحة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 2008، ص 337.

89 محمود اللبدي، **الاعلام الصهيوني والانتفاضة**، ط1، مؤسسة المجلس الاعلى العربي للعلوم والتكنولوجيا للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1993، ص 138.

90 اللبدي، المصدر السابق، ص 139-140.